قصة الرياضيين الشاعرين

أبي اليسر الرياضي المتوفى سنة ٢٩٨ هـ

وبُرَيْه بن أبي اليسر الرياضي المتوفى سنة ٣٤١ هـ

زاهر أحمد عبيد

من لايداري الناس قلّ صديقه ... ومن ذمهم كان القصيَّ المذمَّما

ومن يهن الاخوانَ لايكرمونه ... ومن يلم الاخوان كان ملوَّما

أبو اليسر الرياضي

أشدُّ شيء على نفس الكريم إذا ... مارام مدحَ لئيمٍ عند حاجته

وأعظمُ الناسِ حزناً من يقلّ له ... مالٌ ويعظم منه قَدْرُ نسبتهِ

بريه بن أبي اليسر الرياضي

عثرت لدى والدي في مطلع عام ١٤٠٠ هـ ، على كتاب مخطوط ، يقع في ثمان وعشرين ورقة ، بدون غلاف أو تاريخ ، أستطيع نسب خطّه وورقه إلى القرن الخامس من الهجرة .

نُسخ على وجه الورقة الأولى منه : « كتاب الحاتميَّة ويعرف بالمنصوريَّة » ، ويشتمل على اثنتين وتسعين مقارنة بين حِكَمٍ نثريَّة لأرسطوطاليس من جهة ، وبين حِكَم شعريَّة للمتنبّي ، مضافاً لكلّ مقارنة منها بيت أو أكثر من أشعار « **الرياضي** » في المعنى ذاته .

استفسرتُ من والدي عن أمر هذه المخطوطة (وكان يرزح في حينه تحت وطأة مرض شديد) ، وكلّ مااستطعت معرفته منه آنذاك ، أنّها نسخة تكاد تكون فريدة ، وأنه قد اقتناها من صديقه سامي أمين

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الخانجي بالقاهرة ، في أواخر عام ١٣٧٩ هـ ، ولم يتح له الوقت الكافي منذ ذلك ، لتركيز بحثه عن هويّة شاعرنا هذا ، الذي لم تذكر المخطوطة عنه سوى انّه « **الرياضي** »

اقتنصتُ كلّ دقيقة سمحت بها ظروفُ أعمالي ، وأكببتُ على البحث عن شاعرنا « **الرياضي** » في جميع المصادر المعروفة ، مروراً بالعلاقة الكبيرة لمحتوى كتابنا « المنصوريّة » بالرسالة الحاتميّة المشهورة ، وما يتبع ذلك من صلة بين تسميته .. وبين « المنصوريين » من الخلفاء ، ومن اشتهر من شعرائهم ؛ وكذلك بحثتُ عن صلة المتنبّي الكبيرة بهذا الموضوع ... ، إلى آخر ماهنالك من اعتبارات أُخرى وافتراضات ، فتوصّلتُ إلى النتائج التالية :

أ ـ لم أعثر على أيّ ذكر لكتاب « المنصوريّة » في أيّ فهرس من فهارس المخطوطات المتداولة .

٢ً ـ وأمّا الرسالة الحاتميّة ، فلقد أحصيتُ وجود اثنتين وعشرين مخطوطة منها ، موزّعة في مختلف المكتبات العامّة والخاصّة في العالم ، جعلتها في جدول منفصل ، بالإضافة إلى أربع عشرة مطبوعة ، أفردت لها جدولاً خاصّاً أيضاً .

٣ً ـ ولم يرد في أيّ من هذه المخطوطات والمطبوعات مايُشير إلى كتابنا « المنصوريّة » من قريب أو بعيد .

٤ً ـ لم أجد في المراجع المتوفّرة كلّها سوى « **رياضي** » واحد ، هو أبو اليسر **إبراهيم بن أحمد** الشيباني البغدادي ، المعروف بـ « **الرياضي** » ، المتوفّى سنة ٢٩٨ هـ ، أي قبل ولادة المتنبّي (٣٠٣ هـ) بخمس سنوات ، وقبل بدء حكم الخليفة المنصور بالله الفاطمي (٣٣٤ هـ) بستّ وثلاثين سنة ، وقبل قدوم الحاتميّ محمد بن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الحسن المظفّر (صاحب الرسالة الحاتميّة) بغداد (٣٠٨ هـ) بعشر سنوات .

٥ً ـ ولأنّ أبا اليسر إبراهيم الرياضي كان شاعراً وأديباً ، فإنّه لم يكن أمامي سوى محاولة إيجاد رابط ما ، بينه وبين كتابنا « المنصوريّة » ، رغم المتناقضات الزمنيّة والتاريخيّة الآنفة الذكر . غير أنني لم أهتد إلى أية صلة من هذا القبيل ، أستطيع إقناع نفسي بها أكثر من ساعات أو أيّام في أفضل الأوهام .

وبينما أنا في تلك الحال من اليأس ، خطرت لي فكرة الإعلان عن هذه المخطوطة في مجلّة مجمع اللغة العربيّة الغرّاء بدمشق ، فعساني أجد من يدلّني على ماعجزت عنه ، أو يسهّل لي طريقه ، فكان نشر ذلك الإعلان في الجزء الرابع (ذو القعدة ١٤٠٠ هـ) من المجلّد الخامس والخمسين . وتمّ ذلك بتشجيع من الاستاذ الدكتور حسني سبح ، رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق .

وبالإضافة إلى هذه الاستغاثة بالإعلان المذكور ، شرعت أستفسر عن رياضينا الشاعر ، من كلّ من عُرف عنه طول الباع في هذا المجال ، من أصدقاء ومعارف ، حتى في أثناء رحلاتي العديدة في بعض الأقطار العربيّة ،

ومضى الشهر تلو الآخر ، وأنا لاأزال عند النتائج السابقة ذاتها ، رغم كلّ المحاولات ، وتواصل البحث ، ومواصلة المراجعات والتدقيق ، ورغم انتهائي من تحقيق كتاب « المنصوريّة » ... إلى أن أذن الله بالفرج المطلوب .

فما إن منّ الله تعالى علينا بمعجزته في تماثل والدي للشفاء البطيء ، حتى عاد تدريجياً إلى مكانه الطبيعي المعتاد ، بين كتبه وأوراقه ، يستردّ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بواسطتها ماسلبه المرض من دماء العافية وماء الحياة ، ويردّ إليها روحه المتعطّشة شوقاً وحبّاً وإخلاصاً لها ، بعد انقطاعه المضني الطويل . فأصبحت لاأراه إلاّ مستغرقاً في بحثٍ أو تعليق أو تحقيق ، مُتّمماً بعض ماكان على وشك إنجازه ، أو شارعاً في كتاب جديد .. ، تارة ينهمك في الكتابة ، وأُخرى في التدقيق والمراجعة إلى أن لفت شقيقي رجاء انتباهنا في مطلع عام ١٩٨٣ ، إلى مضيّ خمس وسبعين سنة على تأسيس والدي مكتبته « المكتبة العربية بدمشق » ، فكان قراره بهذه المناسبة « نشر ماانطوى من أشعاره » طوال عقود من الزمان وكان ذلك بداية التقدم في بحثي عن شاعرنا المجهول « **الرياضي** » .. رغم مابين الموضوعين من بُعد وانقطاع صلة .

إذ بينما نحن ـ والدي وأنا ـ نكتب ونراجع ونبحث ونتباحث ، على مكتب واحد ، وبغرفة واحدة ، كعادتنا في السنوات العشر الأخيرة عندما أكون بدمشق ، وكنّا في هذه المرّة نجمع ونرتّب مايرغب والدي في نشره من شعره ، الذي كان بعضه محفوظاً في قصاصات صحفٍ ومجلات عربية منذ مطلع القرن العشرين ، وبعضه اليسير خلف أوراق روزنامته الشهيرة التي يصدرها منذ أكثر من سبعين سنة (التقويم العربي الهاشمي) ، وإذ به يناولني ورقة من أوراق ذلك التقويم ، دون أن ينبس بحرف واحد .

ولم يكن التاريخ على وجه تلك الورقة ، الأربعاء ١٣ / ٥ / ١٩٧٠ ، ليعني لي أي شيء ...، غير أن ما قرأته على ظهرها كان مفاجأة كبيرة لي ، لم أكن أتوقعها بتاتاً ، وهاهو نصّ ماوجدت :

كلّ الدواب لها مرعى يؤالفها ... تنمو به ويكون الخير عقباها
وسفلة الناس أعراض الكريم لها ... مرعى ولكنّ خبث الرعي مرعاها

بُرَيْه بن أبي اليسر الرياضي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وما إن انتهيت من قراءة ذلك ، مع متابعة والدي قراءة ماكان يظهر على وجهي من أثر هذا الكشف ، حتى أخبرني بأنه أنتخب هـذين البيتين من مخطوطةٍ زوّد المكتبـة الظـاهريـة بـدمشق بهـا في مطلع عـام ١٣٨٠ هـ ، وهي من تصنيف شـاعرنـا « بُرَيْـه بن أبي اليسر الريـاضي » ، ذاتـه ، كما تذكّر أيضاً ، بأنه كان قد زوّد المكتبة الظاهرية بنسخـة أُخرى منهـا في أواخر عام ١٣٧٠ هـ ، إلا انه لم يتذكّر عنوانها تماماً ؛ وطلب منّي البحث عن اسم ذلـك الشـاعر في مـوسـوعـة بروكلمـان تـاريـخ الأدب العربي ، ففعلت، ووجـدت اسمـه مصنَّفـاً تحت الحرف « ب » ، وعثرت على عنوان كتاب واحد فقط من تأليفه ، هو « كتاب تلقيح العقول » . وكان مرجع بروكلمان في ذلك : الحاجي خليفـة (كشف الظنون ١ : ٤٨١) . وبينمـا هممت أبحث في ذلـك المصـدر الأخير ، تنـاول والــدي الجـزء الأول (ص ١٢٥ ـ ١٣٦) من فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهريـة بـدمشق ، قسم الأدب ، فـوجـد فيـه ضــالتنــا المنشـودة ،عن رقم ووصف كلّ من نسختي كتــاب تلقيــح العقــول ، وعن اسم المصنِّف « **بُرَيْــــه بن أبي اليسر الرياضي** » ، وبذيل ذلك الملاحظة التالية : « قرأ النسخة الأستاذ أحمـد عبيد وعلّق عليها بقلم رصاص حديث ، وتـدلّ تعليقـاتـه على سوء ضبـط النسخة وتصحيفاتها » .

ونتيجة لما تقـدم ، فلقـد انفتح أمـامي كلّ مـاكان مغلقـاً . فحصلتُ على صـورة لكلٍّ من نسختَيْ « كتــاب تلقيـح العقــول » من دار الكتب الظـاهريـة بـدمشق ، وشرعت في بحث المـوضـوع ودراستـه من أوّلـه مرّة أُخرى ، على أساس متين وعميق ، إلى أن توصلت إلى ترجيح مايلي :

أ ـ إن اسم مصنِّف كتـاب تلقيـح العقـول ، هـو « **بُرَيْــه** » وليس « **بَرِيَّة** » كما جاء في المصادر القليلـة المـذكورة . و « **بُرَيْـه** » هو تصغير

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

إبراهيم ، حسب ماجاء في القاموس المحيط ٤ : ٢٨١ (بره) ، [وقال الصغاني في التكملة (بره) : « وقد سمّوا بُرْيهاً مصغراً ، فيحتمل أن يكون تصغير إبراهيم ، ويحتمل أن يكون اسماً برأسه]

٢ ـ **بُرَيْه** بن أبي اليسر الرياضي ، هو « **إبراهيم الصغير** » ، ابن **إبراهيم بن أحمد ، أبي اليسر ، الشيباني ، البغدادي ، المعروف بالرياضي** ، وتاريخ وفاتها يدعم هذا الترجيح .

٣ ـ لاوجود لإبراهيم بن **محمّد** ، أبي اليسر ، الشيباني ، البغدادي ، المعروف بالرياضي ، الذي ورد ذكره في (معجم المؤلفين ، كحّالة ، ١ : ٩٧) نقلاً عن « البيان المغرب لابن عذارى المتوفى سنة ٦٩٥ هـ » ، وفي (الأعلام ، الزركلي ، ١ : ٦٠) نقلاً عن « صدور الأفارقة لحسن حسني عبد الوهاب ، المتوفى سنة ١٣٨٨ هـ » فكلا الترجمتين المنسوبتين لإبراهيم بن**محمّد** الرياضي ، في هذين المصدرين المذكورين ، هما في الواقع لابراهيم بن **أحمد** الرياضي ، بدلالة تطابق سنتي الولادة والوفاة ، ولتطابق الترجمة الكاملة ، بما فيها أسماء مؤلّفاته المعروفة ، مع ترجمة إبراهيم ابن **أحمد** التي وردت في نفح **الطيب** ٢ : ١١٥ و ١١٦ ، وفي إيضاح المكنون ١ : ٧٠ و ٢ : ٩ و ٢٣٤ و ٤٠٨ ، وفي معجم المصنّفين ٣ : ٦٥ ، وفي تكملة الصلة ١ : ٢١٠ ، وفي هدية العارفين ١ : ٤ ، وفي معجم المؤلفين ١ : ٥ ، وفي الأعلام ١ : ٢٨ ، وغيرهم .

٤ ـ إن كتابنا « المنصورية » هو لاشكّ من تصنيف شاعرنا بُرَيْه بن أبي اليسر الرياضي . ومعاصرته للخليفة الفاطمي : المنصور بالله ، وصلته به (حسب ماجاء في مقدمته لكتاب تلقيح العقول) ، تفسّر تسمية كتابنا بـ « **المنصورية** » .

٥ ـ إنّ مخطوطتنا « **المنصورية** » ، هي فريدة بالفعل ، كما سبق

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أن أشار والدي ، ولم أجد لها أي ذكر ، ولو بالتلميح ، في أيّ من المراجع وفهارس المخطوطات المعروفة ، رغم وفرة عددها .

٦ ـ هناك كتاب ثالث لـ « **بُرَيْه الرياضي** » ، غير « **كتاب تلقيح العقول** » و « **المنصورية** » ، وهو في الأمثال السائرة والأبيات النادرة .

ولقد أشار شاعرنا **بُرَيْه** إلى ذلك ، في مقدمته المذكورة لكتابه « **تلقيح العقول** » عندما قال : « كان عبد أمير المؤمنين أعلى الله ذكره ، ألّف كتاباً في الأمثال السائرة والأبيات النادرة ، في كتاب ممتع (!) ، وهو الذي كان أهداه إلى أمير المؤمنين المنصور بالله ، قدّس الله روحه ، وصلى عليه ، انتهى فيه إلى مقدار الطاقة في ذلك الوقت ..... » .

٧ ـ لم أعثر على أيّ أثر أو دليل ،مخطوط أو مطبوع ، يكون قد ظهر أو نُشر فيه شيء من أشعار « **بُريه الرياضي** » حتى الآن ، سوى مخطوطتَي « **المنصورية** » و « **تلقيح العقول** » إضافة إلى ورقة التقويم العربي الهاشمي الآنفة الذكر .

٨ ـ أمّا مايتعلق بأشعار **الرياضي** الوالد ، **أبي اليسر** ، فلعلّ الأبيات اليسيرة التي رواها « **بُرَيْه** » عنه في « **تلقيح العقول** » هي أوّل مايُعرف من أشعاره حتى الآن ، رغم شهرته وتعدّد مؤلّفاته ووفرة المصادر التي أوردت ترجمته وأخباره . وذلك بسبب عدم معرفة المصير الذي آلت إليه تلك المؤلفات التي تحدّث عنها معاصروه ، أو رُوي عنها ، والتي ربما تكون قد ذهبت مع عشرات آلاف كتب التراث الأُخرى التي أتلفها هولاكو المغولي عام ٦٥٧ هـ ، من جملة ماأتلف ودمّر من معالم بغداد ومحتويات مكتباتها ودور العلم فيها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولعلّ من لطائف ماأنشد **أبو اليسر الرياضي** لنفسه ، من شعر طويل ، كتب به إلى أخٍ من صقلية إذ صار بها ، هو :

تسمع أبا العبّاس إن كنت سامعاً ... مقالات جزّالٍ كثير التجارب
مواعظ من (لبّ)[1] الكلام كأنّها ... جواهر عقدٍ في نحور الكواعب
فإنّي صحبت الناس مذ كنت ناشئاً ... على خلقٍ ماذمّه قطّ صاحب[2]
وعاشرتهم مابين أقطار كابُلٍ ... إلى طنجةٍ أقصى بلاد المغارب
وطوّفتُ آفاق العراقين برهة ... إلى الحجز من نجدٍ إلى أرض مارب
وصرت كأنّي الخضر في كلّ بلدةٍ ... مسير النجوم[3] السابحات الثواقب
وكاربت أهوال الزمان (وأهله)[1] ... وقاسيت في الدنيا صنوف العجائب
فلم أر ذلاً كاغترابٍ وفرقةٍ ... ولم أر عزّاً كاجتماع الأقارب

٩ ـ لم أكتشف أية تفاصيل تتعلّق بترجمة « **الرياضي** الابن ، **بُرَيْه** » بل ربما أستطيع الجزم بعدم توفرّها . ولذلك أعتقد انه بالإمكان اعتبار ماسيرد عن « **بريه الرياضي** » هنا ، نواة لأوّل ترجمة تُعرف له حتى الآن ، وهي مستخرجة ومستوحاة من مقدمته في « **تلقيح العقول** » ومن أشعاره التي وردت في كتابه المذكور ، وفي « **المنصورية** » ، وكذلك من ترجمة أبيه « **ابراهيم الرياضي** » .

هذا مختصر ماستطعت التوصّل إليه من نتائج حول هذين **الشاعرين الرياضيين : إبراهيم و بُرَيْه** . ولقد أضفت إلى ذلك كلّ ماوجدته على صلة بهما ، سواء في ذلك : الزمان ، والتاريخ ، والصلات

---

(١) وضعتُ هذه الكلمة مؤقتاً ريثما أتمكن من قراءة الكلمة الأصلية في المخطوطة .
(٢) لعلّها : صاحبي .
(٣) في الأصل : النجم .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الشخصيّة ، والشخصيّات المعاصرة لها ، وآثارهما ؛ فوجب عليّ عرض كلّ ذلك في كتاب شامل ، أصبحت في آخر مراحله ، منسَّقاً على الوجه التالي :

أ ـ فكرة موجزة عن ترجمة المنصوربالله ، والمعز ، الفاطميّين ، وعن عصرهما ومجالسهما الأدبية .

ب ـ **الرياضي** الوالد ، **أبو اليسر إبراهيم** : ترجمته ومصادرها ، والنماذج الوحيدة التي اكتشفتها من أشعاره .

جـ ـ **الرياضي** الابن ، **بُرَيْه بن أبي اليسر** : نواة ترجمته ومصادرها ، والنماذج الوحيدة التي اكتشفتها من أشعاره .

د ـ تحقيق كتاب المنصورية .

هـ ـ تحقيق كتاب تلقيح العقول .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net